بداية الالتزام

بقلم

عبد المنعم الشحات



حقوق الطبع محفوظة



الاسكندرية

رقم الإيداع: ١٣٥٩٧/ ٢٠٠٨

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية - مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٦٧١٤٧٦٨-٠١٠٢٧٧١٠٦٠

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية - أبو سليمان - ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٢٠١٥٢٩٠٨-٠١٠٥٠١٣١٥١



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ – ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

« **أما آن لك أن تلتزم ؟** » سؤال طرحته على القارئ الكريم في رسالة صغيرة تحمل هذا العنوان ، اجتهدت فيها في جمع ما يذكره الناس من علل يتعللون بها تمنعهم من « **إرادة الالتزام** » ، وهي بذلك تخاطب شريحة كبيرة من المُعرضِين عن الالتزام ، أسأل الله ﷻ أن يجعلها سببًا في هدايتهم .

ولما كانت هناك شريحة ربما تكون أكبر عددًا من تلك الشريحة ممن لديهم « **إرادة الالتزام** » ، أو إن شئت قل « **همٌّ بالالتزام** » ، ولكن يمنعهم من المضي في طريقه موانع وعقبات

يمكن إجمالها في ضعف هذه الإرادة ، وبالتالي عدم قدرتها على تحريك نفس صاحبها في عكس اتجاه هواها من حب للدنيا بشهواتها من النساء والمال وحب مدح الناس والهرب من ذمهم .

لذلك فقد كتبت هذه الرسالة كالتتمة للأولى ، أذكر فيها طرفًا من قصص التائبين الذين استثمروا خاطر الإيمان الذي أتاهم في لحظة فارقة ، فتحول لديهم إلى إرادة جازمة نقلتهم من ساعتهم من حال إلى نقيضه ، وأبين فيها شيئًا من معالم الطريق ليكون ذلك مرشدًا لإخواننا في بداية طريق الالتزام .

أسأل الله تعالى أن ينفعني بها أنا ووالدي ومشائخي وإخواني وسائر من قرأها اللهم آمين .

« أما آن لك أن تلتزم ؟ »

سؤال وجهناه إلى إخواننا الذين مازالوا لم يأخذوا دين الله ﷻ بقوة كما أمرهم الله ﷻ ، ولم يعملوا بكل شرائعه التي أتى بها رسول الله ﷺ ، وأخذنا هذا السؤال من السؤال الذي وجهه الله ﷻ إلى صحابة رسوله ﷺ وإلى من بعدهم من باب أولى ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ١٦] .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « استبطأ الله قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاثَ عشرةَ سنة من نزول القرآن » ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين » . عاتبهم الله ﷻ بهذا العتاب لمجرد أن فشا فيهم شيء من اللعب ، وأن فشا فيهم شيء من عدم الجدية في العمل بدين الله - تبارك وتعالى - ، وهذا العتاب إن عوتب به هؤلاء الذين أخذوا دين الله بقوة ، والذين جاهدوا في سبيل الله ، والذين أقاموا دين الله ﷻ فمن باب أولى أن يكون موجهًا إلى

غيرهم ، وكم انتفع بهذا النداء من قدَّر الله ﷻ له الهداية ، ومنهم من انقلب من حال سيئة إلى نقيضها فلا تظنن أن شيئًا من هذا على الله بعزيز .

إن بعض هذه الأمة كانوا يومًا من فُساقها وصاروا ببركة سماع القرآن ، وببركة تدبر القرآن ممن فُتحت قلوبهم إلى الالتزام بدين الله ﷻ لاسيما هذه الآية المباركة ، وهذا العتاب الذي تنخلع له القلوب .

أسمعت عن « **عبد الله بن المبارك** » ؟

إمام عَلَم من أئمة المسلمين ، كان إمامًا في الزهد وتربية النفس ، سُئل رحمه الله عن بَدء أمره فقال : **كنت يومًا مع إخواني في بستان لنا** – واستمع إلى تلك القصة جيدًا فإنها قصة تكاد تكون مكررة في كل زمان ومكان ... رفقة فاسدة تجتمع على معصية الله ﷻ وتستخدم نِعم الله مما أعطاهم من مال وصحة ، ومما رزقهم من أنواع البساتين والحدائق ، تستخدم هذا كله في معصية الله ﷻ .

يقول : **كنت يومًا مع إخواني في بستان لنا ، وذلك حين حملت الأشجار من ألوان الفواكه ، فأكلنا وشربنا حتى جاء الليل فنمنا** – وهذه عادة كثير ممن لم يتعرف على الله ﷻ حق المعرفة ، وممن لم

يأنس قلبه بحب الله ﷻ ، أكلوا من فضل الله ، وشربوا من رزق الله ، ولكنهم ذهلوا عن عبادة الله ، وتكاسلوا عن طاعة أمر الله ، واجترؤوا على محارم الله فناموا أول الليل وقاموا آخره ، وهذه عادة كثير من البطالين ينامون لأنهم لا يجدون عملًا يعملونه ، ثم يقومون في الليل الذي جعله الله سكنًا للعباد لكي يستريحوا فيه ويقوموا بالنهار إلى مشاغل دينهم ودنياهم ، هذا الليل الذي جعله لخاصة أحبائه وأوليائه يقومون له فيه ، ويتملقونه - سبحانه - بأنواع الثناء والذكر ، ولكن هؤلاء البطالين إنما يجعلون الليل للهو واللعب - .

يقول : **وكنت مولعًا بضرب العود والطنبور** - الموسيقى مزمور الشيطان ، ووسيلته إلى احتلال القلوب ، والسيطرة عليها ، ومنعها من تدبر القرآن والعمل بما فيه ، وكان عبد الله بن المبارك إلى هذه اللحظة التي يحكيها ، أحدَ هؤلاء المُغرمين ، وأحد هؤلاء المأسورين الذين أسرهم الشيطان - .

يقول : **فقمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له : رياشين السحر ، وقام فلان يغني بعد أن طلبت الرفقة منه ذلك** . يقول : **وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة** - وهم يظنون أن هذه الطيور تعزف الأغاني والموسيقى معهم ولو أبصروا لعلموا أن هذه الطيور

تسبح الله ﷻ ، وهذا مبالغة في إقامة الحجة على العصاة ، هذه الكائنات التي هي أقل قدرًا وأقل عقلًا من الإنسان تسبح الله ﷻ ، وهو يغني بمزمور الشيطان.

يقول : **والعود بيدي لا يجيبني** - لما أراد الله له الهداية أنطق الله العود الذي في يده - .

يقول : **وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾** [الحديد : ١٦] .

يقول : **قلت بلى والله** .

انظر ، إنه في قمة لهوه ، إنه مع الرفقة الفاسدة التي غالبًا ما تكون مانعة من الهداية ، إنه في الزمن الذي طابت فيه الثمار وقد أعد العدة ، ولكن لما شاء الله أن ينفتح قلبه للهداية فُتح ، ولما عرض قلبه على هذه الآية وعلى كتاب الله فُتح قلبه فقال : **بلى والله** .

يقول : **وكسرت العود** - وهذا هو الفرق بين ابن المبارك وغيره من التائبين وبين غيرهم ممن لا يعزم عزمًا صادقًا على

التوبة ويسوفها حتى يستعيد الشيطان المساحة التي خسرها من قلبه ، إن القلب يضيء ويظلم ، تُضيء منه مساحة وتُظلم منه مساحة ، وإذا انفتحت في جدار القلب فتحة ونفذ منها الضوء وانطردت الظلمة ؛ فإنه إن لم يستثمرها صاحبها فتوشك الشياطين أن تُغلق هذه الفتحة وأن تكسو القلوب مرة ثانية بالران وأن تكسوها بالأغلال وتضع عليها الأقفال ، فلا ينتفع حينئذٍ ، ولكنه لما أراد الله له الهداية كان عزمه أكيدًا لذلك كسر العود من ساعته - .

يقول : **قلت بلى والله ، وكسرت العود ، وصرفت من كان عندي** - هذه أولى الخطوات فمن لم يُقدم عليها يصعب عليه أن يسير باقي الخطوات ، وأن يكسر آلات اللهو ، وأن يطرد اللهو من قلبه ومن وقته ومن بيته ومن مكانه ، وأن يطرد أصدقاء السوء حينًا من الدهر إلى أن يعود إليهم داعيًا إلى الله ﷻ ، إلى أن يلتحق بإخوانه المؤمنين يتقوّى بهم ويتقوون به ، ويتعلم كتاب الله ، ويعرف كيف يدعو إلى الله ويأتي إلى هؤلاء يدعوهم إلى الله ، وأما في هذه اللحظة التي دخلت الهداية في قلبه ولم تدخل إلى قلوبهم فليصرفهم عنه حتى يتفرغ لهذا السير الذي ينبغي أن يسير عليه ، أتعرف هذه الأبيات التي كان يلحن لها ابن المبارك

وينشدها صاحبه ، لقد كانت كتلك الأبيات التي ينشدها كل العصاة في كل زمان ومكان ، قلوبهم في قلق ، قلوبهم في اضطراب ، وهذا من عجيب الأمر أنهم في قمة لهوهم ونشوتهم وسعادتهم فيما يدَّعون تجد أن أغانيهم إنما تذكر الهجر والعذاب والألم ؛ لأن هذه هي الحالة التي تتناغم معها قلوبهم ، هذه هي الحالة التي تستجيب لها قلوبهم ، لأنها بالفعل تعيش في هذا الضنك ، تعيش في هذا الشقاء لقد كان يقول :

ألم يأنِ لي منك أن تَرحمَا

والله ﷻ يقول : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : ١٦] ، وهو يخاطب محبوبه :

ألم يأنِ لي منكَ أن تَرْحمَا   وتعصي العَواذلَ واللُوَّمَا
وترثي لصبٍ بكم مُغرمٍ   أقام على هَجرِكمْ مَاتمَا
يبيتُ إذا جَنَّه ليلُه   يراعي الكواكبَ والأَنْجُمَا
وماذا على الظبيِ لوْ أنَّه   أحَلَّ منَ الوصلِ ما حَرَّمَا

هكذا كان يتملق محبوبته ، هكذا كان يشكو هجرها وكان يطلب وصالها ، وكان يبيت ذلك الليل الذي وصفه أنه في هذا البستان وبين هذه الثمار وبين هذه الألحان ، ولكن هذه الألحان

حينما تُركت لتنطق لم تنطق إلا بالعذاب وبالهجر ، وبما يعيشه فعلًا وهذه هي حال العصاة التي نربأ بك عنها ، ونريد منك أن تلحق بركب الطاعة ، وأن تستجيب لله ﷻ ، أن تقول كما قال ابن المبارك رحمه الله : بلى قد آن .

بلى قد آن أن ألتزم ، وأن أجدَّ في العمل بدين الله ﷻ ، هذا معناه أنه قد آن الأوان لطرد المعصية من الأماكن والأوقات وقبل هذا من القلوب ، وهذا معناه هجر رفقاء السوء ، إلى أن نعود إليهم دعاة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ .

وهذا « **الفضيل بن عياض** » عابد الحرمين ، أحد الأئمة الأعلام في الزهد والورع ، أيضًا كان قصته شبيهة بقصة ابن المبارك ـ رحمهما الله تعالى ـ عشق جارية فواعدته سرًا ، هذا يعيش في سكر الغناء ، والآخر يعيش في سكر الشهوة ، وكلاهما مخمور بهذا السكر ، بعيد عما ينفع قلبه وعما يقربه إلى ربه ، عشق جارية فواعدته سرًا فبينما هو يتسلق الجدار . . . ، وانظر إلى جد العصاة في تحصيل معصيتهم ، وانظر إلى كسل عامة الخلق في تحصيل الطاعات ؛ تعرف أن الشيطان قد قعد لبني الإنسان بالمرصاد ، فإن العصاة قد يتحملون في سبيل معاصيهم أنواعًا من الشدة وأنواعًا من الضيق

وأنواعًا من المخاطر ولا تجد منهم من يتململ ، هذا يتسلق الجدار ، وربما قبض عليه وهو يفعل معصيته ، وربما فُضح ، وربما .. وربما .. والشيطان يجعله يعمى عن هذا كله ، فإذا جاء أمر الالتزام وُجدت أنواع من العقبات يتخيلها أمامه :

ماذا سيقول الناس عني؟ . . . وبماذا سيواجهونني؟ . . . ولعلي أن أوذَى ؟ . . .

وإذا أوذي فإنه سيؤذى في الله ، وقد كان يؤذى في المعصية.

يقول: فبينما هو يتسلق الجدار سمع قارئًا يقرأ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] ، وهذه من بركة الطاعة أنَّ هذا القارئ كان يقرأ القرآن في جوف الليل ، لا يقصد به دعوة إلى الله وإنما قصد به تقربًا إلى الله فألقى الله ﷻ هذا الصوت على مسامع الفضيل فكان سببًا في التزامه ورجوعه وتوبته ، ولعل هذا القارئ ظل ذاهلًا طول عمره على أنه كان السبب في أن يهدي الله به الفضيل بن عياض ويكون علم الفضيل وأدب الفضيل ودعوة الفضيل بعد ذلك كلها في ميزان حسناته يوم القيامة . فالدال على الخير له مثل أجر فاعله .

سمع قارئًا يقرأ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : ١٦] .

قال : **بلى والله** .

أيضًا مازال في قلبه نافذة نفذت منها هذه الآية فأنارت قلبه، لم يتمالك أمام عتاب ربه ، قال : **بلى والله** ورجع عن معصيته ، فآواه الليل إلى خربة فسمع بعض السابلة يقولون : إن الفضيل يقطع الطريق ويزني - والعياذ بالله - سمع الآية فرجع عن زناه . فإذا به يجد المسلمين يخافونه .

فقال : **أراني بالليل أسعى في معاصي الله والمسلمون يخافونني** . لقد شعر بما هو فيه من انتكاسة ، لقد شعر بما هو فيه من بؤس وشقاء ، يسعى في معصية ربه ويخيف المسلمين ويُرَوِّعهم .

قال : **اللهم إني قد تبت إليك ، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك** .

فهؤلاء الأفاضل انتفعوا بهذه الآية وحدها ، فما بالك بمن يتدبر كتاب الله كله ، من يتدبر في آيات الله ويُمِرُّ هذه الآيات على قلبه .

فمتى قلت : بلى والله قد آن لي أن ألتزم ؛ فلتُمِرَّ كتاب الله على قلبك ، ولتقرأ ولتسمع كتاب الله وتتدبر وتتأمل ، آية واحدة تاب بها عالمان من أعلام المسلمين انقلبوا من قمة الفسق والفجور إلى أن صاروا أعلامًا في الزهد والتربية وتزكية النفوس على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ ، وقد قدمنا لك قصة قاتل المائة الذي كان في أشد حالات الفسق والبعد عن شرع الله - تبارك وتعالى - وارتكب هذه الكبيرة التي هي من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ، ارتكبها مائة مرة ، ولكن لما وقعت في قلبه التوبة الصادقة حملته إلى أن سعى إلى أن يهجر أهل السوء كما نصحه ذلك العالم ، وحملته على أنه وهو يعاني سكرات الموت ينأى بصدره ، يزحف بصدره يريد أن يقترب من أرض الطاعة ولو شبرًا واحدًا ، هذه هي الإرادة التي ينبغي أن توجد لمن أراد أن يسلك سبيل الهداية ، عليه أن ينفض عن نفسه الغبار ، عليه أن يستيقظ استيقاظًا حقيقيًا .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ : ٤٦] .

هكذا خاطب الله هؤلاء المشركين ، والمسلمون أولى بهذا أن يقوموا لله جماعات ووحدانًا يُراجعون أنفسهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ويتفكرون في القرآن ، ويتفكرون في أخبار النبي ﷺ وسيعلمون أنه نذير بين يدي عذابٍ شديدٍ ، تُرى ماذا يصنع الذي جاءه نذير بين يدي عذابٍ شديدٍ ، وقد تأمل في خبره فوجده صادقًا ينذره جيشًا يصبِّحه أو يمسيه ، كما ذكر ذلك المثل رسول الله ﷺ أنه كالنذير العريان ينذرُ قومه جيشًا يقول: صبَّحَكم ومَسّاكم ، تُرى ماذا يفعل الذي قام وتأمل ورجع إلى نفسه ورجع إلى إخوانه فوجد أن ذلك النذير بين يدي عذابٍ شديدٍ ؛ صادق ، إنه يسعى ويجد ويجتهد لكي يهرب ويفر من هذا العذاب ، أو أنه كهذا النائم الذي كان في سفر عظيم الأخطار عظيم المخاوف في بيداء ، في صحراء قفر موحشة ، مليئة بالسباع والهوام فوجد في أثناء الطريق شجرة فيها نوع من الثمر وعندها نوع من الماء فأوى إليها ليستريح ، ولكنه قد استهوته هذه الشهوات المؤقتة مع أنه مازال في خطر ، فإن غرضه الرئيسي أن يصل إلى أرض الأمان التي فيها بساتين وليست مجرد شجرة واحدة بل فيها أنهار . . فيها ظلال . . وفوق ذلك فيها أمن .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

لقد شُغِلَ بهذا الأمان المؤقت ، لقد شُغِلَ بهذا الظل المؤقت ، فنام تحت ظل هذه الشجرة ، هذا مثل الذي يركن إلى الدنيا وإلى شهواتها ، إنه مازال في خطر ، ومازالت الأخطار حوله من كل جانب ، ومازال نائيًا عن النعيم الذي يستحقه متى بذل وسعه في السعي إليه ، ولكنه قد آوى إلى ظل هذه الشجرة وغلبه النوم ! ثم استيقظ . . ماذا يفعل ؟! إنه يسابق الريح لكي يستدرك ما فاته ؛ لأن الرفقة قد سارت وتركته ، وصارت المخاوف أشد ، وصارت الأخطار أشد ، فهو يريد أن يلحق بهذه الرفقة ، هو يريد أن يصل إلى قدر من الأمان المؤقت حينما يصير مع نفس الرفقة الذين عرف أنهم على الطريق ، الذين عرف أن لهم هدفًا كهدفه ، وأنهم يسعون للنجاة التي يسعى إليها ، فإنه يجدُّ ويسير سيرًا حثيثًا لكي يدركهم ، هذا هو الذي يحتاجه من تأخر في سيره إلى الله ، من ركن إلى الدنيا ، من استهوته الدنيا بشهواتها ثم استفاق فإن عليه أن يسرع ويشمر .

فَحَيَّ على جناتِ عَدْنٍ فإنها ... منازِلُنا الأولى وفيها المخَيَّمُ
ولكننا سَبْيُ العدُوِّ فهل تُرَى ... نَعُودُ إلى أوطانِنا ونُسَلَّمُ

مازلنا في أرض تحيط بنا الأعداء فيها من كل جانب ، نريد أن نلحق بدار الأمان ، وهذه لن تلحق بها إلا متى سرت على طريق الله ﷻ ، إلا متى سرت على طاعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ فينبغي أن تُشمر عن ساعد الجد .

أرأيت هذه القصص من توبة التائبين كيف تركوا شهوات هي من أشد الشهوات تمكُّنًا من النفوس ، ولكن الإرادة الصادقة والتوكل على الله ﷻ قد مكّنهم ، تركوا شهوة الزنى ، تركوا شهوة الغناء ، تركوا شهوة الحب الماجنة ، تركوا شهوة اللعب واللهو والبِطَالة وسعوا إلى طاعة الله ﷻ ، وإن شئت فاستمع إلى قصة أخرى هي أعجب بكثير مما ذكرنا من هذه القصص ، إنها قصة أقوام لم يكونوا فقط من الفُساق العصاة وإنما كانوا من أشد الناس كفرًا وعنادًا ، أَتَوا لكي يَغْلبوا رُسل الله ، أَتَوا لكي ينشروا الكفر – والعياذ بالله – ، أتوا لكي ينتصروا لرجلٍ يقول لهم: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] ، وجاؤوا لكي ينتصروا ؛ لهذا كانوا في هذه اللحظة في أشد أحوال الكفر ، في أشد أحوال الرجس ، في أشد أحوال البعد عن طاعة الله ﷻ ، غلبتهم الدنيا أكثر مما غلبت

عصاة المسلمين الذين وإن غلبتهم الدنيا على بعض شهواتها فإنهم مازالوا يوحدون الله ، ومازالوا يؤمنون بالله ، ومازالوا يُسلمون لرسل الله ، وأما هؤلاء فطلبوا الشهرة والجاه والمال والمنزلة عند فرعون ، فكانوا على أتم الاستعداد أن يجحدوا رسالة رسل الله ﷻ ، وأن ينشروا الكفر ، وأن ينتصروا له ، ولكن الله ﷻ ألقى الإيمان في قلوبهم ، إنها حالة نادرة فريدة ، ضعها نُصب عينيك ، حالة أُناس بالفعل قد انقلبوا من حَالٍ إلى نقيضها لقد انقلبوا من أعتى أنواع الكفار كُفرًا إلى مؤمنين من أشد أنواع المؤمنين إيمانًا وصدقًا في إيمانهم وصبرًا عليه واحتسابًا وتوكلًا على الله ﷻ .

في قصة نبي الله موسى مع فرعون – عليه لعنة الله – لما أظهر موسى عليه السلام أنواع المعجزات التي أيده بها ربه ﷻ ، نصح ملأ فرعون له بأن يجمع السحرة لكي يُواجهوا موسى عليه السلام لعلَّهم يُقدمون مثل ما قدم ، ولعلَّهم يُلبِّسون على الناس أمر دينهم ، وكل الناس يعرف شأن السحرة وما يكونون فيه من الباطل ، وما يكونون فيه من النجس ، وما يكونون فيه من الرجس، وما يكونون فيه من حب العلو في الأرض والفساد . . وبالفعل جاء

هؤلاء . . . ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ [الأعراف : ١١٣] يتأكدون أنهم سيقبضون الثمن ، هذه هي طبيعة الجاهلية ، هذه هي طبيعة التربية الشيطانية التي يظفر بها الشيطان من المشركين ، ويظفر بجزء منها من كثير من المسلمين حينما يبيعون بعض دينهم بعَرَض من الدنيا قليل ، وهكذا جاؤوا يتأكدون أولًا أنهم سيقبضون الثمن ، إنهم ليس لهم هدف وليست لهم غاية وليست لهم عقيدة إنما يريدون الأجر .

﴿ قَالَ نَعَمْ . . . . ﴾ [الأعراف : ١١٤] ، وهو الآخر يريد ذلك ، هناك نوع من المنفعة المتبادلة ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف : ١١٤] يا سبحان الله ! . . . القرب من الفرعون عندهم أسمى وأشرف من القرب من الله ﷻ حتى هذه اللحظة وهم على هذه الحال ، وسبحان الله القلوب بين إصبعين من أصابعه ﷻ يقلبها كيف يشاء ، ولذا فمن هذه القصة ومن غيرها عليك أن تواظب على دعاء النبي ﷺ : « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** » (١) .

---

(١) رواه الترمذي وأحمد ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة .

هكذا صرف الله قلوب هؤلاء إلى الإيمان بالله ﷻ انقلبوا من حالٍ إلى نقيضها لما رأوا آية من آيات الله ﷻ ، لما ألقوا ما ألقوا وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحرٍ عظيم ، ثم ألقى موسى عليه السلام عَصَاه فإذا هي تلقف ما يأفكون، فهنا وقع الإيمان في قلوبهم . ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٠] .

سبحان الله ! إنهم كان عندهم كل شيء من المعرفة بدعوة موسى عليه السلام ، لقد عرفوا أنه يدعو إلى الإيمان برب العالمين ، وعرفوا أن أعظم شعائر الإيمان برب العالمين الخضوع ، وأعظم أنواع هذا الخضوع السجود له ـ سبحانه وتعالى ـ وعلموا أن موسى عليه السلام يدعو قومه ويدعو الناس إلى أنه مَنْ أَلَمَّ به شيء فليتوكل على الله ﷻ ، كانت عندهم المعرفة وبقي أن يدخل قلوبَهم الإيمانُ ، وقد دخل فصاروا من أكمل المؤمنين إيمانًا ، ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢١] .

هذا الذي تعلَّموه من دعوة موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٢] ، سبحان الله ! . . ما أشرف هذه العبارة أن يعرف الناس ربهم بأنه رب موسى وهارون ، أما تشتاق إلى

هذه المنزلة ، أن يقول الناس إذا أرادوا أن يلتزموا : إننا نريد أن نكون مثل فلان وفلان ، نعبد الله كعبادة فلان ، نتعلم كعلم فلان ، لا نقول هذا طلبًا لمدح الناس أو ثنائهم وإنما طلبًا أن تكون نسبتك إلى الله ، أن تنسب إلى الله ﷻ أنك عبده ، أنك على منهجه أنك على دينه ، أنك تدعو إلى دينه ، فهنا قالوا :

﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢١ - ١٢٢] .

آمنا برب العالمين الذي يدعو إليه والذي يبين طريقه والذي يبين العبادة إليه موسى وهارون عليهما السلام ، وفرعون مازال في غيه ، مازال في عناده ، مازال لا يتصور أن يؤمن هؤلاء الذين جاؤوا يطلبون الأجر ويشترطونه ، مازال لا يتصور كيف يؤمنون بهذه السهولة ، كيف يتركون القرب منه ، وهو يظن أن القرب منه منزلة تدفع القلوب والأفئدة والأرواح ثمنًا لها .

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٣] .

إحدى عقبات الالتزام الطعن الذي يُطعن في الملتزمين وإلصاق التهم الباطلة بهم ، والفرعون هو أول من يعلم بطلان هذه التهمة ،

ولكنهم آمنوا إيمانًا حقيقيًا فتغلبوا أيضًا على هذا ، لقد تركوا المال والجاه والمنزلة ، وهُمْ أيضًا يتحملون هذا الطعن المعنوي الذي وُجِّه إليهم ، إنهم يمكرون ولا يريدون إلا العلو في الأرض ، وقد كان العلو حاصلًا لهم لمّا كانوا من جنود الفرعون ... تهمة باطلة يتحملونها في سبيل الله ، ولكنه لما وجد أن هذه التهمة لم تصدهم عن الإيمان بالله ﷻ توعدهم هذا الوعيد الشديد .

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٤] .

ولعل موسى عليه السلام لم يكن قد شُرع له العذر بالإكراه ، ولم يكن قد شُرع له أنه متى وصل الضرر إلى هذه الدرجة أنه يجوز للمؤمن أن يُظهر الكفر .

إذًا لا مناص أمامهم من أن يتحملوا تقطيع الأيدي والأرجل والتصليب في الأشجار ، وقد تحّملوا - رحمهم الله تعالى رحمة واسعة وجمعنا بهم في جنته - لقد تحملوا هذا كله .

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٥] .

سبحان الله ! . . قضايا قد سمعوها من دعوة موسى عليه السلام ثم لما دخل الإيمان في قلوبهم تحولت إلى ميثاق عمل .

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٥ - ١٢٦] .

سبحان الله . . قصة عظيمة من قصص الالتزام الصادق الذي حدث في لحظة فارقة تحصل للمرء فتغير حياته وتجعله يفرق بين الحق والباطل ، يُقبل على ربه ﷻ ، يُجدد معالم الالتزام في قلبه ، لعله كان يعرف بعض معاني الإيمان ، لكن هل طَبَّقَها ؟ ، هل طبّق التوكل على الله ؟ ، هل طبق التضحية من أجل دين الله ؟ ، هل قدم كل غالٍ ورخيص في سبيل طاعة ربه ﷻ ؟ .

هذه قصة أخرى من قصص هؤلاء الذين أقبلوا على ربهم ﷻ في لحظة نقاء وصدق مع النفس ، فجددوا حياتهم وجعلوها وقفًا على طاعة الله - تبارك وتعالى - .

هذا ما ندعو إليه أنفسنا وغيرنا ، إلى أن نجدد التوبة ، ونجدد العزم ، ونجدد العهد ، ونراجع القلوب ، ونراجع معاني الإيمان في القلوب ، ونجدد معالم الإيمان كلها ومن أعظمها الصلة بين العبد وبين ربه ، فنريد أن نُصلي صلاّة حقيقية ، لعلك أخي

التائب لم تكن تصلي ، أو لم تكن تحافظ على صلاتك ، أو على أحسن الأحوال كنت تؤديها بغير خشوع وتدبّر ، هذا لابد أنه كان حاصلًا لأن الله ﷻ قال : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، إننا نريد ونحن في بداية وصف طريق الالتزام لمن منَّ الله عليهم بالهداية ، ولمن أُلقيت في قلوبهم تلك اليقظة التي أُلقيت في قلب هؤلاء السحرة ، وأُلقيت في قلب عبد الله بن المبارك ، وأُلقيت في قلب الفضيل بن عياض ، وفي قلب قاتل المائة ، فاستثمَروها أعظم استثمار ، نريد أن نستثمر هذه اليقظة التي تُلقى في قلوبنا الآن ، فلنبدأ بتجديد العهد في صلاتنا ، أن نصلي صلاة مشروعة ، أن نصلي صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، صلاة تقلل أمر هذه الشبهات قدر الإمكان ، متى حافظنا عليها جميعًا نحن وأنت ودعونا جميع المسلمين إليها ، فلن يوجد مجال إلى تلك الشبهة التي سبق أن أدليْتَ بها وقلت : « ولكن بعض المصلين لا يستقيم في سلوكه مع الناس على شرع الله تعالى » لأنك ستعرف أن هذا حاصل لأنهم لا يُحسنون صلاتهم ، ولأنهم لا يؤدونها كما أمر الله ﷻ ، فبعد أن حصلت لك هذه الرغبة في

الالتزام بدين الله ﷻ فاهرع إلى صلاتك وأحسِنْها وأتْقِنْها وعُدْ إليها إن كنت تاركًا لها ، صلِّ لله ﷻ ، واطلب منه أن يهدي قلبك ، واطلب منه أن ينيره واطلب منه هداية عظيمة كتلك التي هدى بها هؤلاء القوم قبلك ، فهو ربُّك كما أنه ربُّهم ، وهو إلهك كما أنه إلههم ، فإذا سألته كما سألوه أعطاك كما أعطاهم .

ولا شك أن قلب الصلاة وروحها هو الفاتحة ، فهلم إلى الفاتحة ، تعلّم الفاتحة فهي طريق الهداية ، أخي أرى أنه قد حصلت لك الرغبة ، وحصلت لك الإرادة ، وبقي لك أن تعرف الطريق ، والطريق سوف تجده موصوفًا في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ إنّها الفاتحة التي فرض الله عليك أن تقرأها على الأقل سبع عشرة مرة في اليوم والليلة ، تُرى لو كنت تقرؤها بقلب واعٍ ، كما وعى الفضيل وعبد الله بن المبارك آية هي جزء ـ أو معناها هو معنى جزء ـ من آية من الفاتحة :

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦] .

مثلها في الفاتحة : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦ – ٧] هذه هي تلك ، معنى الأولى جزء من الفاتحة ، تُرى لو كنت تقرؤها فعلًا بتدبر وتأمل هل كنا سنحتاج إلى كل هذا الحوار لكي نلتزم جميعًا بدين الله ﷻ .

إن بداية التزامنا أن نتدبر كتاب الله ومن أُوْلَاه بالتدبر والتأمل الفاتحة ، فهلم إلى عَلَم من أعلام المسلمين لعلك سمعت عنه كثيرًا ، ولكن هل سبق أن قرأت له ؟ ولكن هل سبق وحاولت أن تتصل بأجدادك وأسلافك وآبائك .

أولئك أجدادي فجِئْني بمثلِهم إذا جَمَعَتْنا يا جريرُ المَجامِعُ

سوف نقتطف طرفًا من كلام الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الفاتحة ، علَّنا نُصلي ونقرأ الفاتحة ونتدبر ونتأمل في الطريق الذي ينبغي أن نسير عليه ، لعلك قد تضجر وتقول ها أنت لم تصبر علينا ، وها أنت سوف تأخُذُنا لهذه الكتب الصعبة .. لهذه الكتب الصفراء وقد اعترضنا في بداية الأمر أنكم تُثقِلون على الناس ، وأنكم تَشُقون على الناس فنفيتم هذه التهمة وها أنتم تقعون فيها ،

وها أنتم تقولون : هلم إلى تفسير ابن كثير ، وأنت تعلم ما فيه من صعوبات وكم يصعب على كثير من الناس أن يقرأ فيه ، وأعود مرة ثالثة ورابعة وخامسة إلى ما شاء الله أقول : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى : ١٦ – ١٧] ما لي أراك تصبر على دراستك الدنيوية أحيانًا باللغات الأجنبية ويكون الأمر صعبًا في أول يوم أو أول أسبوع أو أول شهر وربما في أول عام ثم ما تلبث أن تتعود ؟ وهذا أمر حسن في الدنيا فلماذا لا تجعله في الدين فهو أولى ؟ وما لي أراك إذا لم تكن دراستك بلغة أجنبية تتحمل أن تدرس علمًا لا تعرف شيئًا عنه ؟ تكون من أول صفحة في كتابه غريبًا عليه ، يقول لك : أنت الآن لابد أن تدرس العلم الفلاني الذي موضوعه كذا وأهدافه كذا وثمراته كذا ومصطلحاته كذا ، أنت غريب عليه من كل وجه ، ثم تتلمس الطرق إلى أن تتعلمه ، وأما إذا جئت إلى تعلم دين الله ، وهذا موضوعه موضوع حياتك ، وسوف يخاطبك على الأقل بمفردات أنت تعرفها ، سوف يعرفك بالله ويبين لك صفاته ، ويبين لك الرسول ﷺ وسيرته وأخلاقه ، سوف يعرفك بمعاني الإيمان والإسلام والإحسان ، هذه كلها

مفردات أن تعرفها وتسمع عنها ، وينبغي أن تكون قد شَغَلَتْ فكرك ، ولو وقتًا يسيرًا ، فكيف لا يأخذك الشغف على الأقل في أن تدرس هذه العلوم ؛ وعندك الآلات التي درست بها غيرها ، فلماذا تستصعب هذا الطريق ؟ ثم لماذا تكرر ما كرره الأعداء بأن يلمزوا تلك الكتب بأنها كتب صفراء .

وعلى أية حال نحن نريد أن نُطَمْئِنَك أنها لم تعد صفراء ، وأن الله قد وسع على الخلق بأنواع الطباعات التي ليست على هذه الهيئة التي حاولوا أن ينفروك عنها .

ثم سؤال أُوجهه لك وأظنك سوف تخجل منه ، أما تخجل من أن ترتدي الـ (Jeans) والـ (Dirty) وأنت تذم كتب العلم بأنها كتبٌ صفراء ، فإذا كان اللون الأصفر قد أخجلك ، قد أفزعك ، قد جعلك تفر من قراءة ما فيه نفعك ، فلماذا تلبس ـ تقليدًا للأعداء ـ هذه الثياب التي أنت أعرف بحالها ولكنك أسلمت قِيَادَك للعدو .. هذا ما نريد أن نؤكده مرارًا وتكرارًا ، إن هذه الشبهات التي لا تجعلك تلحق بركب الإيمان لا تجعلك تلحق بهؤلاء الذين أنعم الله عليهم وهداهم إلى دين الله تبارك وتعالى ، ثم ألم تسأل نفسك :

متى كُتبت هذه الكتب الصفراء ، إنك الآن حتى ولو كنت ستحصل عليها وهي صفراء فهي على أي الأحوال مطبوعة مهيأة ، ألم تسأل نفسك متى كتبها كاتبها ؟ وعلى أي ضوء من الأضواء كتبها ؟ لقد كان سلفك يكتبون هذه الكتب على المصابيح الزيتية ، والإمام ابن كثير الذي نريد أن نقتطف شيئًا من شرحه وتفسيره لكتاب الله قد فَقَدَ بصره رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يكتب كتبًا لنا يشرح فيها دين الله عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَدَ بصره من كثرة ما أفنى ليله يكتب على مصباح زيتي في أوراق ، لعل تلك الأوراق الصفراء كانت كثيرًا ما تكتب بخط يده ، تُرى هل تعرف ماذا كان يفعل من يريد أن يقرأها ؟ ، فهذا حال كاتبها ، وأما قارئها فإما أن يجلس هو الآخر بمحبرة ينقل على أوراق صفراء كبيرة الحجم ثقيلة الوزن ، وإما أن يدفع أموالًا طائلة لكاتب يبقى شهورًا ينسخ له كتابًا لكي يقرأ ، وأنت عندك المصاحف ربما تكون بالعشرات ، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ إذا ما أرادوا حفظ القرآن كتبوه على سعف النخل وعلى رقاع الجلد ، بل قبل أن يكتب على هذه الهيئة ، كان النبي ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة وكان أحدهم متى أراد أن يتعلم آية من كتاب الله كان

يتعين عليه أن يحمل كفنه على يديه ويذهب متخفيًا من هؤلاء الذين يتربصون بالمؤمنين لكي ينفذ في جنح الليل وهو لا يدري أَيَسْلَم أم لا ؟ لكي يتعلم آية من كتاب الله ، ثم منَّ الله على المؤمنين بأن أقام لهم الدين وأعزهم ونصرهم ، وأتى أبو بكر ومن بعده عثمان رضي الله عنهما فجمعوا لك القرآن في مصحف واحد ، ثم هيأ الله هؤلاء العلماء الأجلاء فشرحوا لك كتاب الله وشرحوا لك سنة رسول الله ﷺ ، وكانوا على هذه الهيئة التي وصفناها لك ، ثم جاءك هذا كله مطبوعًا على أفخر ورق وأفضله وأكثره راحة للعين ، بل وأحيانًا موضوعًا على وسائل مختلفة إذا ما أردت أن يكون مسموعًا بصوت أفضل القراء لديك ، وإذا أردت أن تقرأ من كتاب أو أن تتصفحه على جهاز حاسب أو غير هذا .. ! نِعم من الله ﷻ أين أنت من شكرها ؟!! وأين أنت من مراعاة حق الله ﷻ فيها ؟ !! ألم يأخذك الفضول يومًا أن تنظر في هؤلاء الذين أفنوا أعمارهم في كتابة هذه المجلدات لك أنت ولكل من يجيء بعدهم من أمة محمد ﷺ وهداية لسائر البشرية ، وأنت تُعرض عن هذا وتقول لعل فيها نوع صعوبة ، لعلها تكون تؤذي العين بلونها ، لعل ولعل ،

وعلى أية حال فإن من يستصعب أمر الدين فإنَّ عليه أن يسترشد بالذين سبقوه على دربه ، إننا نؤكد لك أنك لو جاهدت نفسك شيئًا يسيرًا في أن تتصل بتراث سلفك الصالح ، وأن تتصل بكتب العلم ، وأن تتصل بدين الله ﷻ فإنك في فترة يسيرة جدًا سوف تَأْلَفُ هذه الكتب ، وسوف تجد هناك مودة بينك وبينها بل بينك وبين مؤلفيها ، ووقتها إذا ذُكر أمامك ابن كثير فإنه لن يكون عِلمًا جامدًا كما هو الحال الآن بالنسبة لك ، تتذكر متى سمعت هذا الاسم ، نعم لعلك تذكر أنه مفسر مشهور ، ولكنك بعد ذلك ستجد نفسك متحفزًا لأن تقول : رحمه الله ، ولأن تدعو له بما قرَّبَ لك هذا الصراط المستقيم ، وسوف تدعو لمن عَلَّمَهُ هذا العلم ، سوف تدعو لشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ، الذي أرى أنك لو جاهدتَ نفسَك في أن تطلع على كتبه فسوف تُحبه حبًا جمًا ، وسوف تشعر أنه أُنموذج لهؤلاء العلماء الأفذاذ الذين عرفوا كتاب الله ودعوا إلى دين الله ﷻ وأقاموا الحجة على العباد ، بل وفوق هذا تعلموا علوم الدنيا لكي يُهذبوها لأهلها ولكي يضبطوها بضابط الشرع ، وسوف تجد في هؤلاء مفخرة تفتخر بها ، بدلًا أن تفتخر بأن أقوامًا من المشركين

عاشوا على الأرض التي عشت عليها قبل سبعة آلاف سنة وبَنَوا أبنية من الحجارة لم يكن معهم آنذاك روافع ترفعها فصارت بهذا محلًا لاندهاش العالم واستغرابه ، وأوحوا إليك أن تفتخر بمآثرهم ، هؤلاء بنوا حجارة وأرادوا منك أن تفتخر بمجدهم ، وهم الفراعنه الذين حكينا كيف أرسل الله رسوله موسى عليه السلام لكي يردهم عن باطلهم وشركهم وعتوّهم ، إلى دين الله - تبارك وتعالى - ، تفتخر بأحجارهم ، ومالك لا تفتخر بهؤلاء الأقوام الذين شيدوا تلك الحضارة العظيمة وأحيوا القلوب بنور الله عز وجل وروح الله ، أحيوها بالله وأحيوها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أنك لو اطلعت على كلامهم واصطلحت معهم فسوف تثني عليهم ، وسوف تثني على مَنْ قبلهم مِن العلماء الذين مهدوا هذا الطريق كالأئمة الأربعة وغيرهم ، وسوف تثني قبل هذا على الصحابة والتابعين الذين هم خير الناس كما بَيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسوف تصلي وتسلم قبل هذا على من كان هو مصدر كل هذا الخير ، وهو الذي علم كل من جاء بعده هذا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسوف تكون قبل هذا حامدًا لله عز وجل على نعمة الإسلام وعلى نعمة إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى نعمة إقامة

العلماء يهدون بهدي النبي ﷺ ، نَعَمْ متى اصطلحت مع كتب أهل العلم ، متى اصطلحت قبل هذا مع القرآن فسوف تجد قلبك قبل لسانك لاهجًا بحمد الله ﷻ ، إنه الحمد الذي أُفْتُتِحَتْ به سورة الفاتحة ، بل إن من أسمائها (**سورة الحمد**) ، أَعَرَفْتَ أن الفاتحة هي أولى ما ينبغي عليك أن تعرفه وأن تتدارسه وأنت في مستهل طريقك إلى أن تعود إلى الله ، فلتكن عودتك قراءة متأملة متدبرة في كتاب الله، ولتُتْبع العلم بالعمل .

ولنقتطف الآن شيئًا من كلام إمامنا الإمام ابن كثير رحمه الله يعرفك بأهم معاني الفاتحة ، وسوف أتحاشى أن أذكر المواطن التي ربما تصعب عليك أو تنفر منها ، ولكن ثق بأنك بعد ذلك سوف تعرفها إن شاء الله ، ولكني أُصَفِّي لك الآن شيئًا من كلامه رحمه الله .

يقول رحمه الله بين يدي الكلام على سورة الفاتحة : « **وهي أول سورة في ترقيم المصحف ، وكل قراءة للقرآن فلابد معها من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، واعلم وتنبّه أن هذا ليس في قراءة القرآن فحسب إنه في الطريق كله ، فأنت يتربص بك أعداء ، ولا مفر ولا مهرب لك منهم إلا بالاستعاذة بالله ﷻ منهم** » ،

يقول رحمه الله في تفسير الاستعاذة وأحكامها :

« وقد قال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ١٩٩ – ٢٠٠] .

انظر إذا نزغك أي نزغ كأنْ وسوسَ لك بألا تستثمر وازعَ الإيمان في قلبك ، أو وسوس لك بأن ترجع إلى أصدقاء السوء ، ووسوس لك بأن الطريق صعب ، ووسوس لك بأنك لا يمكن أن تصل ، ووسوس لك بأن الناس سيسخرون منك ، ووسوس لك بأن الناس سيؤذونك ، ووسوس لك بأن ذنوبك لا توبة منها ﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ، سوف يسمع استعاذتك وهو عالم بحالك قبل أن تستعيذ ، فمتى استعذت به أنجاك ـ سبحانه وتعالى ـ ، ولذلك يشرع لك أن تستعيذ بالله عز وجل بين يدي قراءة القرآن ، لأن الشيطان لن يتركك تقرأ القرآن كما ينبغي ، بل سوف يجعل الشهوات التي كنت منغمسًا فيها تقفز إلى ذهنك حتى يصرفك عن طاعة ربك ، عن تأمل القرآن وتدبره ، وليكن بين يدي قراءتك للقرآن استعاذة حقيقية بالله عز وجل ، وقال تعالى :

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾

[المؤمنون : ٩٦ – ٩٨] .

وهذا الذي أمر الله ﷻ به ، أمر بمصافحة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده طبعه الطيب الأصل إلى المودة والمصافاة ، فمتى آذاك الناس لالتزامك فادفع بالتي هي أحسن وقل لهم قولًا حسنًا ، قل لهم : هذا أمر الله ﷻ ، قل لهم : هيا بنا نؤمن ساعة ، قل لهم : إننا نريد أن نلتزم بدين الله - تبارك وتعالى - ، وأعرض متى لم تجد بُدًّا ولم تجد استجابة ، أعرض عن هذا وانشغل عنه ، وأما الشيطان فعداوته دائمة بطبعه ، وعداوته متأكدة لا يرده عنك إلا أن تستعيذ بالله ﷻ ، وهذا في شأنك كله لاسيما عند قراءة القرآن ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] هكذا أمرك الله ﷻ أن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم .

« وما الاستعاذة ؟! »

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله : « **والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر ، والعياذة تكون لدفع**

الشر ، والليإذ يكون لطلب جلب الخير ، فعُذْ بالله من كل شر ولُذ به لكل خير

يـاَ مَـنْ أَلُـوذُ بـه فيـما أؤمِّلُـهُ ومَـن أعُـوذ بـه ممـا أُحـاذِرُهُ

لا يَجْبُرُ الناسُ عَظمًا أنت كاسِرُه ولا يَهِيضُونَ(١) عَظمًا أنت جابرُهُ »

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ : « ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي : أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي ، أو يصدني عن فعل ما أُمرت به ، أو يحثني على فعل ما نُهيت عنه ؛ فإنه لا يكف الشيطان عن الإنسان إلا الله » .

ثم يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية التي شرع الله ﷻ لنا أن نقرأها بين يدي كل سورة : « ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ هكذا شرع الله ﷻ لنا هذا لاسيما في الفاتحة ، فإنها على الراجح جزء منها ؛ فهكذا ينبغي للعباد أن يَبْدؤوا كل شيء لاسيما قراءة القرآن ، لاسيما الفاتحة ؛ بذكر اسم الله ﷻ ، يذكرون اسم ربهم ، نبدأ باسم الله أي : نستعين بالله على ما نبدأ ، وذكر اسم الله ﷻ فاتحة كل خير .

فهذا ما شرعه الله لنا في قراءة الفاتحة وهو مشروع لنا في كل

---

(١) أي : يكسرون .

حال ، ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، انظر كيف عرَّفك ربك أنه ذو رحمة واسعة ، ثم فوق هذا سمى نفسه الرحمن الرحيم لكي تعرف أن رحمته واسعة اشتق لنفسه منها اسمين لكي يدلك على سعة الرحمة وأنها تعم الدنيا والآخرة ، وتعم المؤمنين والكفار ، فإنه يرحم الكفار بأنواع من الرحمة العامة ، حيث إنه ﷻ يرزقهم ويُطعمهم ويَسقيهم ، وأما المؤمنون فهو رحيم بهم ﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] لأنه يدخلهم جنته ، فهو رحمن لكل الناس ورحيم بالمؤمنين ﷻ ، فإذا قرأت هذا عرفت أن ربك رحمن رحيم وأنك متى عُذت به ولُذت به فإنه يقبلك ﷻ وإنه يُجيب سُؤلك ويُنجيك ﷻ مما فررت منه » .

ثم يقول رحمه الله : « ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فهذا هو بُداءة هذه السورة العظيمة سورة الحمد أن تحمد ربك وإلهك ، والرب هو الرازق الخالق المدبر ، والإله هو المعبود ، فأنت تحمد الله لأنه عرَّفك بنفسه وعرَّفك أنه إلهك وأمرك بعبادته » .

انظر أنت تحمد الله على أنه إله قبل أن تحمده على أنه رب ، ومعظم الخلق لا يحمدون الله إلا على أنه رب ، على أنه خَلَقهم

ورزقهم وأنه يحفظهم ويكلؤهم ، وهذا أمر يستحق الحمد بلا شك ، ولكنك تحتاج أكثر إلى أن تحمد ربك ﷻ على أنه الله ، على أنه الإله ، على أنه دعاك إلى عبادته ، لماذا ؟ حتى يستقر قلبك وحتى يطمئن ؛ فإنك إن لم تعبد الله ﷻ لا يستقر قلبك ولا يقر له قرار ، إذا ما وقفت بين يدي الله وقلت : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فأنت تحمد إلهك ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ تحمد ربك ، هو إلهك وهو ربك ، هو معبودك الذي تعبده ، وهو في نفس الوقت خالقك ورازقك ، فاحمده على هذا وعلى ذاك .

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ هذان الاسمان قد تكررا وذلك لأن البسملة على الراجح آية من الفاتحة ؛ فإذا ذكر الله لك اسمي الرحمن والرحيم مرتين في آيتين متجاورتين في هذه السورة التي هي أجمع سور القرآن فإن ربك يذكرك برحمته الواسعة ، فاطلب هذه الرحمة ، وتعرض لها ، وإنما تتعرض لها بطاعة الله ، وبالوقوف بين يدي الله .

وإذا عرفت أن ربك الرحمنُ الرحيمُ فلا تَنْسَ أنه ملك يوم الدين وأنه مالك يوم الدين ، لا تَنْسَ أولًا أن هناك دِينًا ، وهو الجزاء

والحساب ، وكما جاء في الأثر عن عمر رضي الله عنه : « حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا ، وزِنُوا أنفسَكم قبل أن توزنوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٨] » .

فاعلم أولًا أن هناك إدانة ومحاسبة ، وأن لها يومًا أجّل الله عز وجل الفصل بين العباد إليه ، وهو مَلِك ذلك اليوم ، وهو مالك ذلك اليوم ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] .

وهكذا إذا علمت أن ربك الرحمنُ الرحيمُ فاعلم أن هذا الإله الرب الرحمن الرحيم قد جعل يومًا للجزاء العدل ، وأنه لا يجعل أهل طاعته وأهل معصيته سواء ، وأنه سوف يجازي العباد على أعمالهم وأفعالهم .

هذا الذي تُذكرك به سورة الفاتحة ، أن تعرف إلهك وربك ، وأن تعرفه أنه الرَحْمَنُ الرحيمُ ، وأن تعرف أنه قد جعل يومًا للحساب والجزاء ، وأنه مالك ذلك اليوم وأنه ملك ذلك اليوم ، وإذا عرفت هذا فاهرع إليه ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

هذه هي جوهر الفاتحة ، وهذه هي التي قصدنا ، أنك ينبغي متى أردت أن تهتدي أن تكون عبدًا لله ، وإذا أردت أن تكون

عبدًا لله فلا وسيلة إلى هذا إلا بالاستعانة بالله ﷻ ، هذا هو جوهر الفاتحة ، أنت أثنيت على ربك ، حمدت ربك بأنه إله وأنه رب وأنه رحمن وأنه رحيم ، وتذكرت يوم الدين ، إذًا ماذا تريد أن تعمل ليوم الدين ؟ تريد أن تعبد الله ، وكيف تعبد الله ؟ أن تستعين بالله ﷻ ، وهذا هو معنى الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ، يقول الله تعالى : « **قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ** » الله ﷻ يشرع لك الصلاة ، ويشرع فيها قراءة الفاتحة ، ويقسم الفاتحة بينك وبينه ، ويخبرك بهذا يقول : « **إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ الله تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي** » .

ماذا تريد أعظم من هذا ؟ في كل ركعة من ركعات الصلاة تقول : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، يعلم الله ذلك منك ، ويقول : « **حَمِدَنِي عَبْدِي** » .

« **وَإِذَا قَالَ : الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي** » فالله ﷻ يحفظ لك هذا الثناء وهو الغني عنه .

« **وَإِذَا قَالَ : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ :**

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ » .

هذه مسألتك من ربك ، أن يعينك على طاعته أن يعينك على الالتزام بدينه ، اسألها بصدق ، فهل يمكن لأحد أن يقف على باب ملك من الملوك يرفع حاجة له ويطرق الباب ، فإذا فتح له ذلك الملك بنفسه ولم يجعل حاجبًا يُجيبه وقال له : هلم إلى حاجتك ؛ انصرَف عنها أو لم يكن متدبرًا لحاجته أو لم يكن متذكرًا لها ؟ ولكن الله ﷻ يسمعك ويجيبك ، وقد أخبرك أنه في كل قراءة لها يقول لك : « **هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ** » (١) .

أعرفت الآن ما الذي يمنعك من الالتزام ؟

يمنعك أنك لم تسأل ، يمنعك أنك وإن سألته سألته بقلب لاهٍ ؛ لأن الله ﷻ يقول : « **هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ** » .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ سألت الاستعانة ، سألت العون من الله على عبادته ، والله يقول لك ـ إذا كنت حقًّا سائلًا ، إذا كنت حقًّا مقبلًا ـ « **هذا لعبدي ولعبدي ما سأل** » .

---

(١) رواه مسلم (٣٩٥) .

ثم تتمة لهذا السؤال يقول : فإذا قال : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦ - ٧] ، قال : « هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ » .

أنت تسأل الله الإعانة على العبادة ، وتسأله أن يوفقك إلى الصراط المستقيم الذي هو الثبات على هذه العبادة والذي يجانب صراط المغضوب عليهم والضالين ، صراط اليهود والنصارى ، ولذلك فإن هناك من المؤمنين من يسير على الصراط المستقيم ولكنه يخرج من جنباته ، لا يستمر في السير عليه صراطًا مستقيمًا كما شرع الله - تبارك وتعالى - بل يشابه في بعض هدي اليهود والنصارى ، فيهوى لَهْوَهم ، ويشاهد فِسْقَهم وفجورَهم ، أو يشارك فيه ، أو يتشبه بهم بهديهم الظاهر أو غير هذا ، والله ﷻ أمرك أن تسأل وأنت وشأنك إما أن تسأل سؤالًا صادقًا ، فيقول لك ربك ﷻ : « هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ » ، وإما ألا تسأل أو تسأل سؤالًا لاهيًا وهو في حقيقة الأمر ليس بسؤال .

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ هكذا يسأل المؤمن ربه ﷻ أن يهديه الصراط المستقيم الذي هو القرآن ، الذي هو الإسلام ، الذي

هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، الذي هو دين الله الذي لا يقبل الله من عباده غيره ، كل هذه أقوال ينقلها لك ابن كثير رحمه الله وكلها متلازمة . الصراط المستقيم هو كل ما دعا الله إليه ودعا إليه رسوله ﷺ ، واسمع لهذا المثل أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ : وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ تَعَالَى ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالَى وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ » (١) .

ومع هذا الكتاب الذي أنزله الله وهذا الرسول الذي أرسله الله يوجد في قلبك واعظ للإيمان ، ولكنك تُسكته ، فإلى متى تُسكت واعظ الإيمان في قلبك ، إلى متى تُسكت نفسك كلما حدثتك أو

---

(١) رواه أحمد (١٧١٨٢) ، وصححه الألباني برقم : (٣٨٨٧) في صحيح الجامع .

بالأحرى كلما حدثك واعظ الإيمان الذي هو ملك وَكَّلَه الله بقلبك ، ولكن ـ فتنة وابتلاء ـ يستطيع الشيطان أيضًا أن يصل إلى هذا القلب ؛ فإن للملك بقلب ابن آدم لَمَّة وللشيطان لَمَّة ، الملك يعظك وهو واعظ الله في قلبك ، وأنت تُسكت صوت الحق في قلبك ، فما النتيجة ؟ ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

هكذا متى أسكت العبد صوت الإيمان في قلبه فإنه قد لا يعود يسمع هذا الصوت ولا يعود قلبه يحدثه بهذا الخير ، إذًا أنت الذي تُسكت صوت الإيمان في قلبك ، أنت الذي تمتنع عن سؤال الهداية ، الله ﷻ وعدك متى وقفت بين يديه متطهرًا مقبلًا بقلبك على الله ﷻ وسألته ؛ أن يقول : « **هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ** » . ولكنك أنت الذي تعرض .

ثم يختم لك الإمام ابن كثير رحمه الله تفسير هذه السورة المباركة بما ثبت عن النبي ﷺ بأنه يُستحب في الصلاة وفي غيرها متى قرأت هذه السورة ، أي متى دعوت بهذا الدعاء الجامع الذي هو أحوج دعاء يحتاج الإنسان إليه ولذا فرضه

الله عليك ولم يفرض عليك دعاءً غيره ، نعم يُستحب لك أن تدعو بخيري الدنيا والآخرة ﴿ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] ؛ ولكن الدعاء الواجب عليك بل هو واجب على الأقل في اليوم سبع عشرة مرة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ سؤال الاستعانة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فإذا ما دعوت هذا الدعاء الجامع فيستحب أن تقول : آمين . فاللهم استجب هذا الدعاء الجامع .

وأسأل الله ﷻ أن يوفقنا إلى طاعته ، وأن يهدي قلوبنا إلى الإيمان به ﷻ ، وأن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحَسُنَ أولئك رفيقًا .

وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك . .

من إصداراتنا ..

أما آن لك أن تلتزم

بقلم

د. عبد المنعم الشحات

من إصداراتنا ..

أريد أن ألتزم ولكن ؟!..

